الفصل الأول: بين علم اللغة وفقه اللغة. تعالوا أبناءنا وبناتنا، لنتعلّم الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة، فهناك فرقٌ دقيقٌ، ولمّا كان هناك فرق؛ ألَّف العلماء كتبًا في علم اللغة، وكتبًا أخرى في فقه اللغة. فما الفرق بينهما إذًا؟ نصلي على نبينا، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه. علم اللغة وفقه اللغة مصطلحان؛ (علمٌ، العلم: هو الإحاطة بالشيء، والفهم الدقيق له. أما الفقه: فهو فهم الشيء، إذًا هناك فرق؛ يختلف مدلول علم اللغة عند العرب عنه عند علماء الغرب، لاختلاف الداعي إليه وظروف نشأته وما وصل إليه من شأوٍ في الشرق والغرب، ويجدر بالباحث في هذا العلم عند العرب أن يوازن على النحو المُعجميّ بين مصطلحاتٍ ثلاثة: "علمٌ، فقهٌ، لغةٌ" حتى يصل إلى المراد من الدراسة التي أنشأها علماء العربية ويتضح له مفهومها. تعالوا بنا نفرق بين ثلاث: علمٌ، فقهٌ، لغة. أولًا: مادة علم: هذه المادة تفيد الفهم الدقيق، العلم بالشيء الإحاطة به، والمعرفة والخبرة به، ويتضح ذلك بآثاره الحسية، ولعلّ المادة أساسًا كانت تدل على الأثر، يُستدل به على الشيء ماديًا أو معنويًا. جاء في المعاجم؛ العلَمُ والعلَمة والعُلْمةُ؛ الشَّقُّ في الشفة العليا، كل هذا يُسمى علَمٌ عَلمةٌ عُلمتٌ، وقيل في أحد جوانبها وقيل أن تنشق فتبين، والعَلَم: المَنار، والعَلَم العلامة: الفصل يكون بين الأرضين، والعَلَم والعلامة: شيءٌ يُنصب في الفلوات (الصحراء) تهتدي به الضالة. والعَلَم: العلامة، وفي التنزيل العزيز في صفة عيسى ـ صلوات الله عليه وعلى نبينا عليهما الصلاة والسلام ـ: "وإنه لَعِلمٌ للساعة" قُرأت "وإنه لعَلَمٌ للساعة" في سورة الزخرف، وهذه القراءة: (وإنه لعلمٌ للساعة) قراءة أبي هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم. نعم، المعنى: أن ظهور عيسي ونزوله إلى الأرض علامةٌ تدل على اقتراب الساعة. ويُقال لِما يُبنى في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق: أعلام واحدها علم. والعلم: الراية، التي يجتمع إليها الجند. والعلامة: السمة. والمَعلم: الأثر يُستدل به على الطريق؛ وجمعه المَعالم؛ ومَعلم الطريق دلالته، ومَعلم كل شيءٍ مظنته، وفلانٌ معلم للخير، كذلك وأعلمت على موضع كذا من الكتاب، وعلى هذا جاء علِمت الشيء؛ أي عرفته، وعلم بالشيء؛ شعر به، يُقال: ما علمت بخبر قدومه؛ أي: ما شعرت. وعلم الأمر وتعلّمه: أي أتقنه، وعلم الرجل: أي خبَر. علِم بمعنى خبَر. وأحب أن يعلمه: يخبُره، وأحب أن يعلمه؛ أي يعلم ما هو، والعلم نقيض الجهل؛ تقول: علِم وفقِه: أي تعلّم وتفقّه، وعلُم وفقُه بالضم؛ أي ساد العلماء والفقهاء فأصبح الفقه له سجيَّة، والعلم له سجية. فالإنسان أول دخوله في العلم يُعد متعلمًا، فإذا طالت مزاولته له وملابسته صار كأنه غريزة، فيُقال له عالمٌ لا متعلمٌ، كل هذا نجد أنه يُفرق بين اللفظين، وكيف إذا طالت مُدة مزاولةِ الإنسانِ للعلم صار العلم كأنه غريزةٌ عنده. فيقال له: عالمٌ لا متعلمٌ، ويخرج به الفعل إلى باب فعُل، فيُقال: علُم وفقُه، ولذا يكسَّر على فُعلاء؛ عُلماء فُقهاء، ولا يقال لأحدٍ أنه عالمٌ بكذا إلا إذا اتضحت عنده آماراتٌ وآثارٌ تثبت المعرفة لديه. فالعلم يحتاج إلى برهانٍ، ومن هنا أصبحت الآثار التي تدل على شيءٍ ما ماديًا معنويًا معانٍ. ثانيًا: مادة فقه؛ فقُه وفقِه: كل هذا يدل على الفهم، تدل مادة فقِه على الفهم والعلم، ويتبين ذلك من تصرفاتها، جاء في كتب اللغة؛ الفقه: أي العلم بالشيء والفهم له، والفقه في الأصل؛ الفهم، يُقال أوتي فلان فقهًا في الدين، أي فهمًا فيه، قال الله ـ عز وجل ـ: "ليتفقهوا في الدين" أي: ليكونوا علماء به، وفقهه الله وعلمه، ودعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عباسٍ دعوةً جميلةً، فقال فيها: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل؛ أي فهمه تأويله ومعناه)، والفقه؛ الفطنة. وسأل سلمان امرأةً نبطيةً بالعراق، فقال لها: هل هنا مكانٌ نظيفٌ أصلي فيه؟ فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت. فقال سلمان: فقهت أي المرأة؛ فهمت وفطنت للحق. والمعنى الذي أرادت فهمته وخاطبته به. وفي الحديث: "لعن الله النائحة والمستفقِهة" والمستفقهة هي التي تجاوبها في قولها، لأنها تتلقفه وتتفهمه فتجيب عنه، أي يردان على بعضهما، الواحدة تقول والثانية تردد ما قالته، وتكمل لها. قال ابن الأثير: واشتقاقه أي: الفقه، من الشق والفتح، وقد جعله العرف خاصًا بعلم الشريعة شرفها الله تعالى وتخصيصًا بعلم الفروع منها.

Summarized by © lakhasly.com